بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة النبوية

لفضيلة الشيخ : علي الحذيفي

بتاريخ : ١٧- ١١-١٤٢٤هـ

وهي بعنوان : محاسبة النفس

الحمد لله رب الأرض والسماوات، الشاكر للحسنات الغفور للسيئات، قائم على كل نفس بما كسبت، يحصي الأعمال ويجزي على الخيرات، ويعاقب على المحرمات، ولا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا، تبارك وتعالى ربنا عظيم الصفات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله المخلوقات، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا عبده ورسوله، المؤيد بالمعجزات، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه ذوي المكرمات.

أما بعد:

فاتقوا الله، اتقوا الله وأطيعوه، واخشوا يومًا لا يجزي فيه أحد عن أحدٍ شيئًا، وإنما هي الأعمال يَشقى بها الشقي، ويسْعَد بها السعيد.

عباد الله، إن الله تعالى قد أرسل إليكم عبدَه محمَّدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وأنزل عليه القرآن الكريمَ نورًا مبينا، ما من خير وفضيلة إلا دلّ عليها وأمر بها، وما من شرٍّ ورذيلة إلا نهى عنها، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، ويقول النبي ﷺ: ((إن الحلال بيّن، وإن الحرامَ بين، وبينهما أمور مشتبهاتٌ، لا يعلمهنّ كثير من الناس، فمن اتّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه، ومن وقع في الشبهاتِ وقع في الحرام، كالراعي يرعَى حولَ الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكلّ ملِكٍ حمى، ألا وإنّ حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)) رواه البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وفي الحديث الآخر: ((إن الله فرض فرائضَ فلا تضيِّعوها، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً بكم فلا تَسألوا عنها)).

فإذ قد علمتَ ــ أيها المسلم ــ ما يجب لله عليك من الفرائض وما لغيرك من الحقوق وجبت عليك محاسبةُ نفسك محاسبةً شديدةً دائمة بلا انقطاع؛ ليخفَّ عليك الحسابُ في الآخرة، فمن راقب اللهَ تعالى وخشيه في كلِّ ما يأتي وما يذر قلَّ تقصيره في الفرائض والواجبات، وكفَّ نفسَه عن المحرَّمات، وأدَّى الحقوق الواجبةَ لغيره عليه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

فمن راقب ربَّه وخشيه وحاسب نفسَه وألزمها بما يقرِّبه إلى الله ويُباعده من الذنوب والآثام صَلُح بالُه وحسُن حاله ومآله، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠، ٤١]. فمن حاسب نفسَه وراقبها وسيطَر عليها صَبَر على عبادة الله عز وجل التي هي أعظمُ إكرامٍ للعبد من ربِّه امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، وامتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢]، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، وتأسِّيًا بأصحاب رسول الله ﷺ المحافظين على العبادة، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الصلاة جماعة: (ولقد رأيتُنا وما يتخلَّف عنها إلا منافقٌ معلومُ النفاق، ولقد كان يُؤتى بالرجل يُهادَى بين الرجلين من المرض حتى يُقام في الصف)، ويقول عمر رضي الله عنه: (أيها الناس، حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزنُوها قبلَ أن تُوزَنوا، وتأهَّبوا للعرض الأكبر على الله)، ويقول النبي ﷺ: ((الكيِّس من دان نفسَه وعمِل لما بعد الموت، والعاجِز من أتبَع نفسَه هواها وتمنى على الله الأماني)).

عباد الله، مَن حاسَب نفسَه وعمل على سُنّة كثُر خيره، وقلَّ شره، وحسُنت عاقبته، وقدِم على ربِّه وهو عنه راض، وأدخله مُدخلاً كريمًا، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقًا.

فحاسبوا أنفسكم في أقوالكم فإنّ الله يقول: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢]. وحاسبوا أنفسكم على أفعالكم فإن الله يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧، ٨]. وحاسبوا أنفسكم في نواياكم وما يعتلجُ في صدوركم فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة:٢٣٥].

وإذا لم يتبيَّن لك ــ أيها المسلم ــ وجه الشرع في عمل ما فاسأل العلماءَ عن حكم الله فيه، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْأَلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]. ولو راجع المسلم نفسه فيما اشتبه عليه فتردَّد في ذلك الأمر فليحذر أن يفعله لقول النبي ﷺ: ((البرُّ ما اطمأنَّت إليه النفس واطمأنَّ إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردَّد في الصدر وكرهتَ أن يطّلع عليه الناس))، والمراد بالنفس هنا النفس المطمئنة التي تحبّ ما يحبّ الله وتكره ما يكره الله تعالى، والتي وثِقت بالله وتوكّلت عليه في كل أمورها، والمراد بالنفس أيضًا النفس اللّوامة التي تلوم صاحبها على التقصير في الواجبات وتلومه على فعل بعض المحرّمات، والقلب يراد به هنا القلب الذي سلِم من الشهوات وسلم من الشبهات، فإنه هو القلبُ الذي يعرف البرَّ والإثم إذا اشتبها، ويعرف الخير والشر إذا التبسا، وأما النفس المريضة بالشهوات والقلبُ المريض بالشهوات والشبهات فلا يعرف المتشابه من الأمور، ولا يحبّ ما يحبُّه الله، بل يكره ما يحبّ الله، ويحبُّ ما يكره الله تعالى، ولا ينزَجر عمّا حرم الله، قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَاء ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ

يَقُولُونَ ءامَنَّا بِهِ كُلٌّ مّنْ عِندِ رَبّنَا﴾ [آل عمران:٧]، وقال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مّن رَّبّهِمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ [النجم:٢٣].

فمحاسبة النفس مع التمسُّك بالسنة هو سبيلُ النجاة، وأما من أعطى نفسَه هواها وسرَّحها في مراتع الضّلال والشهوات والفساد وأضاع حظَّها من العبادة لله وأعرض عن سنة رسول الله ﷺ ولم يحاسِب نفسَه فقد ساء حالُه وخبُث مآله، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٧-٣٩]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت:٢٢-٢٤].

عباد الله، إنَّ أحوالَ المسلمين توجب التفكُّرَ والتدبُّر والمراجعة والإصلاح لهذه الأحوال، فقد تكالب عليهم أعداءُ الإسلام، وتفرّقت كلمة المسلمين، وتشتّتت آراؤهم، وتفشّت بينهم البدع، وصار بعضُهم يكيد لبعض، وصار بأسُهم بينهم، واشتدَّت كُرُباتهم، وساءت أحوالهم، وكلُّ مسلم يعلم أنَّ سببَ ذلك كلِّه هو تفريطهم في دينهم، فإذا أصلَح المسلمون ما بينهم وبين ربهم أصلح الله ما بينهم وبين الناس وأصلح ذاتَ بينهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

وإن أوَّل خطوة لإصلاح حال المسلمين هي صَلاح الفرد والجماعة، بأن يحاسب كلُّ نفسَه على كلِّ شيء قبل أن يحاسبَه الله؛ أن يحاسب نفسه: ماذا قدَّم للإسلام من عملٍ صالح؟ هل هو معظِّمٌ لأمر الله بالامتثال والخضوع والانقياد والمحبة؟ هل هو معظِّم لنهي الله بالابتعاد عن محارم الله وبُغضها؟ هل هو معظِّم لشرع الله؟ قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبّهِ﴾ [الحج:٣٠]، هل المسلم معظِّمٌ لسنَّة رسول الله ﷺ بالتعليم والاتباع والتعلُّم وكراهية المخالفة والابتداع؟ هل هو قائم بحقوق الوالدين والأقربين والمسلمين؟ هل يحدث لكلِّ ذنب توبةً نصوحا؟ هل يبكي على خطيئته؟ هل يزداد كلَّ يوم علمًا وفقها وعملاً صالحًا في دين الله دين الإسلام الذي رضيه الله للعالمين؟

إن الربَّ جل وعلا يوجب علينا أن نلقاه في الآخرة بالأعمال، لا بادِّعاء مجرَّدٍ من بيِّنات الأفعال، ويوجب علينا أن نعيشَ في هذه الدنيا صادقين في أقوالنا وأفعالنا التي نتقرّب بها إلى ربِّنا، مخلصين مُحبِّين لخالقنا، خاضعين منقادين متواضعين لجبَّار السماوات والأرض، والله يُكرم من يُكرمه، ويُهين من أهان أمرَه، وهل شَقي بطاعة الله أحد؟! وهل سعد بمعصية الله أحد؟! قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفعنا بهدي سيد

المرسلين وبقوله القويم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كـلِّ ذنـب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على توفيقه وامتنانه، والشكر لله على فضله وإحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن نبينا وسيّدنا محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صلِّ وسلِّم وبـارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه وإخوانه.

أما بعد: فاتقوا الله ــ عباد الله ــ حقَّ التقوى، وتمسَّكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

عباد الله، إن محاسبةَ المسلم نفسَه في كلِّ صغيرة وكبيرة مع تمسُّكه بسنَّة المصطفى ﷺ هو سفينةُ النجـاة وصَلاحُ الحياة والفوزُ برضوان مولاه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨]، وفي الحديث عن النبي ﷺ: ((من سـرَّته حسنتُه وساءته سيّئتُه فهو مؤمن))، وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: (إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقّ فـي أعيُنكم من الشعر كنّا نعدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر) رواه البخاري، وذلك لمحاسبتهم أنفسَهم.

عباد الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقد قال رسول الله ﷺ: ((من صلَّى علي صَلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا)).

فصلوا وسلِّموا على سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسـلّم تسـليمًا كثيرًا...